دَعِ المزاحَ جانباً... يا رفيق!

بُشرى إلى كلّ أنصار اليسار والتقدُّم في العالم.

بشرى إلى اليائسين والفقراء والمحبَطين، وبخاصةٍ في الوطن العربيّ والعالم الثالث.

لقد انتصرت الشيوعيةُ في العراق.

وأين تحديداً؟ أو أين... فقط؟

في الثقافة.

اللّه أكبر، وليخسإِ الخاسئون!

فلقد عُيِّن شيوعيٌّ وزيراً للثقافة في جمهورية العراق المحرَّر. وهذه سابقة مجيدة في التاريخ، المعاصرِ على الأقلّ. ففي حين تراجعتْ غالبيةُ الحركات القومية والتقدُّمية واليسارية عبر العالم، قفزت الشيوعيةُ العراقيةُ إلى سُدّة السلطة، ومن أبهى أبوابها: الثقافة.

لكنَّ المفارقة العظمى ليست هنا يا حبيبي، بل أن يتمّ ذلك بفضل قوات التحرير الأميركية التي ليست مغرومةً بالشيوعية ولا بلينين ولا بالرفيق فهد نفسه.

فما عدا ممّا بدا؟

على كلّ حال، نحن نريد أكلَ العنب لا قتلَ الناطور. ولهذا نرجو الرفيق وزيرَ الثقافة في جمهورية العراق أن يبادر فوراً إلى إغراق السوق العراقية المحرَّرة بالكتب الماركسية والشيوعية. وإذا تعذَّرَ ذلك فليَطلبْ من القوات الحليفة أن تؤمِّن للسوق العراقية، ومن السوق الأميركية أو البريطانية تحديداً، أربعةَ كُتب، بعضُها مترجمٌ إلى العربيةَ ومنتشر في أسواقٍ مجاورةٍ للعراق:

١ ـ كتاب هاورْد زِنْ، تاريخ الشعوب من وجهة نظر الولايات المتحدة (صدرت الطبعةُ الأولى عام ١٩٨٠، والرابعة عام ١٩٩٩). وهو كتاب من ٧٠٣ صفحات يتحدّث فيه كاتبُه الأستاذُ الجامعيّ منذ أكثر من ثلاثة عقود عن المعاملة الممتازة التي تلقّاها الأميركيون الأصليون (الهنود الحمر)، والأميركيون الأفارقة، والأميركيون اللاتينيون، والأميركيون الفقراءُ عامةً، واليابانيون، والعربُ، والأفارقةُ... منذ تأسيس الولايات المتحدة عام ١٤٩٢ إلى مطلع قرننا الجديد.

٢ ـ كتاب نوم تشومسكي، النزعة الإنسانية العسكرية الجديدة (صدرت الطبعةُ الأولى عام ١٩٩٩، وتُرجم إلى العربية). وهذا كتاب يفصِّل في الدوافع الأميركية والناتوية النبيلة وراء قصف يوغوسلافيا، رغم علم القاصفين بأنّ فِعْلهم سيتسبّب في خروج الكوسوفيين من بيوتهم. كما يَسْرد قصةَ تحالف النظام العراقيّ البائد مع الدول المتنوِّرة أثناء قصف الأكراد بالغازات السامّة وقتلِ المنشقّين العراقيين.

٣ ـ كتاب ويليام بلوم، الدولة المارقة (صدرتْ طبعةٌ منقّحة عام ٢٠٠٢، وتُرجم إلى العربية منذ بضعة شهور). مؤلِّفُ هذا الكتاب عمل في وزارة الخارجية الأميركية حتى عام ١٩٦٧، ثم غادرها بسبب اعتراضه على أعمال بلاده الإنسانية العظيمة في فيتنام. والكتاب يتوسّع في تاريخ الولايات المتحدة الحديث، ويخصِّص عشرات الصفحات للحديث عن التزامها الثابت بحقوق الإنسان وبالمواثيق الدولية كافةً... ومن هنا، طبعاً، تسميتُها بحسب عنوان الكتاب، بـ«الدولة المارقة». (التتمة ص ٩٦)

سماح إدريس
بيروت

لأن لا أفق عربياً من دون اتّحاد عربيّ

أفكار في تجديد القومية العربية

الآداب ١١/١٢، ٢٠٠٣ ـ ملف من إعداد: سماح إدريس ومحمد جمال باروت

من محتويات الملف:

- الطاهر لبيب: الخطاب و القومي
- عبد الإله بلقزيز: المثقفون والقومية العربية ـ فريضةُ المراجعة
- شمس الدين الكيلاني: الفكرة العربية بين إخفاقات الماضي وتطلُّعات المستقبل
- أحمد فائز الفوّاز: المشروع القومي العربي ـ مراجعة من أجل بداية جديدة
- أحمد صالح الملاّ: النُظم القومية وتهشيم المجتمع السياسي العربي
- جاد الكريم الجباعي: من الإثنية المذهبية إلى القومية الديموقراطية
- ياسين الحاج صالح: سجن الشعوب ـ الشرق الأوسط والاجتماع السياسي الشرق أوسطي

تتمة الافتتاحية ص ١

دَعِ المزاح جانباً... يا رفيق!

٤ ـ كتاب مايكل مُور، رجال بيضٌ حَمْقى (صَدَرَ عام ٢٠٠١ وتُرجم إلى العربية مؤخَّراً). جديرٌ بالذكر أنّ ملايين من النسخ بيعتْ من هذا الكتاب في الولايات المتحدة وبريطانيا، حليفتَي العراق الجديد. فلن يكون ثمة مانعٌ لدى قوات التحرير، كما نَأْمل، من أن تباع بضعةُ آلاف منه فقط في العراق اليوم. يتحدّث مُور في هذا الكتاب عن الديموقراطية داخل الولايات المتحدة، وبشكل خاصّ عن نزاهة الانتخابات التي أَوصلتْ بوش الابنَ إلى الرئاسة (بعد أن تمّ إسقاطُ ١٧٣ ألف أميركيّ من حقّ التصويت في ولاية فلوريدا، معظمُهم من السود). ويُفْرد مُور فصلاً كاملاً للحديث عن نجاح الولايات المتحدة في القضاء التامّ على العنصرية، وهو ما قد يشكّل نموذجاً يُحتذى لحلّ مشكلة الأقليات القومية في كافة أرجاء العالم، ولاسيّما في العراق المحرَّر.

لا يتّسع المجالُ لذكر كُتب مفيدة أخرى تعزّز ثقةَ الحكومة العراقية ومجلسِ الحكم بالديموقراطية الأميركية وبالاستراتيجية الأميركية الإنسانية الباهرة. ونَعْلم علمَ اليقين أنّ الأولوية عند وزارة الثقافة العراقية الجديدة، وعند رفيقنا الشيوعيّ، هي تحريرُ العراق... من البعث وفلول النظام المقبور. ونَعْرف أيضاً أنّ الميزانية المخصَّصة للثقافة قد لا تتحمّل شراءَ هذه الكتب وشَحْنَها من الولايات المتحدة أو بريطانيا أو العالم العربيّ، وأنّ قوات التحالف لن ترى في نشر هذه الكتب داخل العراق أولويةً من أولوياتها. فإذا كان لا بدّ، يا معالي الرفيق الوزير، من شيء واحد، كتكوتٍ ورخيصٍ، وقد لا تحتاجون إلى شرائه أصلاً لأنّه موجودٌ في كثير من بيوتكم، ولا يتطلّب إلاّ نَسْخًا بالآلة الناسخة عند الضرورة... فليكن مختارات من كتاب لينين، الثورة الاشتراكية وحقّ الأمم في تقرير مصيرها (كُتب عام ١٩١٦ وترجمتْه إلى العربية دارُ التقدم في موسكو ضمن المجلد السادس من مختارات لينين). وإذا تعذّر ذلك أيضاً، فلتَنْشروا في أرجاء العراق المَقْطعَ الخالدَ التالي من الكتاب:

«يترتّب على الاشتراكيين ألاّ يطالبوا فقط بتحرير المستعمَرات، فوراً، وإطلاقًا، ودون أيّ تعويض... وإنّما ينبغي عليهم أيضاً أن يؤيّدوا ويساندوا، بأشدّ العزم والتصميم، العناصرَ الأكثرَ ثوريةً... ضدّ الدول الإمبريالية التي تَضْطهدها.»

سماح إدريس
بيروت